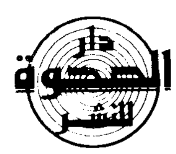
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم
للأطفال والفتيان

الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



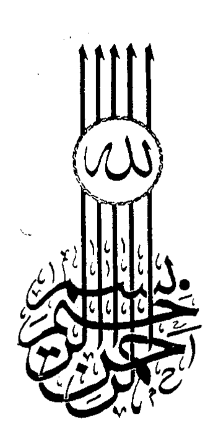
دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة: ٧ ش السراى - أول المنيل ت. فاكس: ٩٨٧٩٢٤
الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

دكتور عبد الحليم عويس

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال والفتيان




بسم الله الرحمن الرحيم

قصـــة
مولـــد نبـــى الرحمـــة

أثناء عودة « أحمد » ، وأخته « سمية » من مدرستهما ، قرأ « أحمد » لافتة معلقة فوق جمعية من الجمعيات كتب فيها : « الجمعية تدعوكم لحضور ندوة عن مولد نبى الرحمة » .

وفى المساء ، وبينما كانت الأسرة مجتمعة ، سأل أحمد أباه :

– **أحمد** : من نبى الرحمة يا أبى ؟

– **الوالد** : إنه رسولنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام يا أحمد .

– **سمية** : ولماذا وصف النبى بأنه نبى الرحمة يا أبى ؟

– **الوالد** : لأنه عليه السلام كان رحمة أرسلها الله للبشرية ، وأنقذها من ظلمات الجهل والشرك والفساد إلى نور التوحيد والعلم والاستقامة .

– **أحمد** : هلّا حدثتنا عن النبى الكريم ، وبخاصة عن قصة مولده ، يا أبى .

– **الوالد** : إن ذلك شيء يسرنى ، لأن الحديث عن نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام يثير كوامن الخير والنور والأمل فى النفس ، ويدعو

إلى الاقتداء به – عليه السلام – فى صبره وحلمه وكرمه وجهاده العظيم .

* * *

لقد ولد النبى عليه الصلاة والسلام – يا أبنائى – فى قبيلة قريش ، وهى من أشرف الأسر العريقة نسبا وحسبا ومجدا ، وهو – عليه الصلاة والسلام – من أشرف قريش .. فهو خيار من خيار .. واسمه بالكامل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة .

ومعرفة نسبه واجب على كل مسلم ومسلمة .

وقد مات والده عبد الله وهو فى بطن أمه ، أمَّا أمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف ... فهى قرشية أيضا ، وقد ماتت عندما كان عليه الصلاة والسلام فى السابعة من عمره ...

أى أنه عليه السلام عاش يتيم الأبوين .

وهذا يؤيده قوله تعالى : ﴿ **ألم يجدك يتيما فآوى** ﴾[1].

وقد كفله جدّه « عبد المطلب » ، كبير قريش وسيدها ، فلما مات بعد عام من موت أمه كفله عمه « أبو طالب » .

وقد أرضعته السيدة « حليمة السعدية » من بنى سعد ، فكانت بذلك أمه من الرضاعة .

---

(١) الضحى : ٦ .

– **قالت سمية :**

نراك قد حدثتنا يا أبى عن نسبه الشريف ، ولم تحدثنا عن مولده وبلده .

– **الوالد :**

ولد عليه السلام فى عام الفيل ، وهو العام الذى حاول فيه أبرهة النجاشى – ملك الحبشة – غزو الكعبة ، فأرسل الله على جيشه طيرا تحمل بين أرجلها حجارة نارية تقتل من تقع فوقه . وأنقذ بيته الكريم « الكعبة الشريفة » من أبرهة وجيشه ، وهذا العام يوافق سنة (٥٧١) للميلاد .

– وكان مولده الشريف فى « مكة المكرمة » التى اختصها الله بالكعبة المشرفة التى بناها سيدنا « إبراهيم » وجعلها بلداً مباركاً آمنا ، فهى « أم القرى » وهى « البلد الحرام » التى فضلها الله على بلدان الجزيرة العربية وعلى بقاع الأرض كلها .

* * *

وكان وقت النوم قد أزف ، فأنهى الوالد الحديث ، قائلا : علينا أن نقوم للنوم مبكرين ، حتى نستطيع أداء صلاة الفجر فى موعدها ، وسوف نجعل من حديث السيرة النبوية الشريفة موضوعا لسهراتنا بعد العشاء فى ليالينا القادمة ...

– ففرح الجميع بما قاله الوالد ، ونهضوا وهم يرددون : « إلى اللقاء » و« على صاحب السيرة الشريفة أزكى الصلوات والتسليمات » .

أخلاق يحرص عليها المسلم :

١ - الرحمة ، وحب الناس ، والرأفة بهم .

٢ - الحرص على العلم النافع وبخاصة سيرة الرسول .

٣ - التأسى بالمثل العليا ، والابتعاد عن المثل الفاسدة .

٤ - تقدير أهل الفضل ، وتكريمهم ، والإشادة بذكراهم ومآثرهم .

قصة أربعين عاماً

– **الوالد** : نعم : أربعون سنة يا أولادى ، قضاها النبى عليه الصلاة والسلام ، قبل البعثة .

– **أحمد** : هل عاشها كلها فى مكة يا أبى ؟

– **الوالد** : نعم ، ولم يخرج إلا مرتين اثنتين ، إحداهما وهو صغير ، خرج فى تجارة عمه أبى طالب إلى الشام ، وقابله الراهب (بَحيرى) فعرف أنه رسول سيبعث ، فأمر عمه بأن لا يخرج به مرة أخرى ، حتى لا يعرفه اليهود ، قتلة الأنبياء ، فيقتلوه .

وأما المرة الثانية ، فكانت وهو شاب قوى فى الخامسة والعشرين ، حين خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد ، فكانت هذه التجارة سببا لزواجها منه ؛ إذْ عرفت صدقه وأمانته ، كما لم تر فى غيره من الرجال الذين تاجروا لها من قبل .

– **سمية** : كيف عاش النبى هذه الأعوام الأربعين وسط عباد الأصنام يا أبى ؟

– **الوالد** : لقد عاشها النبى الكريم ، نائياً فيها عن قومه ، وإن كان بينهم ، فلم يسجد لأصنامهم ، ولم يشاركهم لهوهم وأسواقهم غير الحميدة ، بل كانوا لا يجدونه إلا حيث يكون الخير والمجد والشرف والنجدة والمعروف .

[**ولقد لقبوه فيما بينهم بالصادق الأمين**] .

وكان من عادته عليه السلام أن يخلو إلى نفسه بعضاً من الوقت كل عام ، يتعبد فى غار يسمى « غار حراء » قريبا من مكة .

وقد شهد النبى الكريم « حرب الفجار » التى كانت بين بنى عمومته ، وأعداء لهم ، وأظهر شجاعة كبيرة ، كما أنه – عليه السلام – أصلح بين قبائل مكة فى وضعهم للحجر الأسود ، إذْ كانوا يختلفون فيمن ينال شرف وضعه ، فمكنهم – عليه السلام – من أن ينالوا هذا الشرف جميعاً ، حين اقترح عليهم أن يضعوا الحجر فوق ثوب ، ويحملوه جميعا من سائر أطرافه فينالوا بذلك – جميعا – شرف وضعه ...

فرضوا برأيه ، ونجوا من خلاف كان فى الإمكان أن يشعل حروباً طويلة بينهم .

– **أحمد** : ألم يكن للرسول أولاد من السيدة خديجة يا أبى ؟

– **الوالد** : بلى يا أحمد ... لقد أنجب الرسول – عليه السلام – منها ستة أولاد ، ذكرين هما : القاسم ، وعبد الله الملقب بالطيب أو الطاهر ، وأربع إناث هن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

وقد مات الولدان وهما صغيران ... أما البنات فقد عشن إلى ظهور الإسلام ، وكن من السابقات إلى الإسلام .

ولم ينجب عليه الصلاة والسلام من غير خديجة إلا إبراهيم ، الذى أنجب من « مارية » القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر .. وقد مات إبراهيم صغيرا مثل أخويه . عليهم رضوان الله جميعاً .

– **قال الوالد :**

فلما كان العام الأربعون من رحلة حياته عليه السلام ، وقع الحادث الفاصل فى حياته الكريمة ، الذى غيَّر الله به تاريخ البشرية ، وحوَّل به طريقها الذى كان معوجاً ومنحرفاً ، وهداها به إلى الطريق القويم ...

– لكن قصة هذا العام ، وقصة هذا الحادث الفاصل الذى غير طريق البشرية ، يحتاج منا يا أبنائى إلى ليلة أخرى ، نجلس فيها لنتابع الحديث فى رحلة السيرة النبوية الشريفة ...

فردد الجميع بصوت واحد :

« على صاحبها أزكى الصلوات والتسليمات » .

أخلاق يحرص عليها المسلم :

١ – الصدق مع الله ومع الناس .

٢ – الأمانة فى كل شىء صغيراً أو كبيراً .

٣ – الشجاعة فى موضعها والحلم فى موضعه .

٤ – استعمال العقل ، ومحاولة إرضاء الناس بالحق .

ثلاثة عشر عاماً
فى مكة

كانت الأسرة قد التأم شملها بعد صلاة العشاء ، وكانت سمية وأحمد أسبق الحضور .

وشعر الوالد ، وكأنهم يستنجزونه وعده بحديث السيرة ... فابتسم للجميع ، وبلهجة مداعبةٍ قال :

– **الوالد** : اطمئنوا فإنى حريص على حديث سيرة الرسول الكريم مثل حرصكم ....

فقاطعه أحمد قائلاً :

أحمد : إذن ... فهيا يا والدى ، لأننا مشتاقون إلى سماع قصة الرسول – ﷺ – عندما بلغ الأربعين من عمره .

– **الوالد** : لقد كان من عادة الرسول أن يعتزل الناس ، وأن يعتكف الليالى الطوال فى غار حراء ، قريباً من مكة .

وبينما هو معتكف جاءه الملك جبريل ، فقال له : اقرأ ...

وبما أنَّ الرسول كان أمياً لا يقرأ ، فقد أجابه وهو يرتجف منه ومن هيئته التى لم يتعودها قائلاً له :

– ما أنا بقارىء .

– فأعاد عليه جبريل نداءه قائلا له :

اقرأ ...

– فردَّ الرسول – ﷺ – بقوله :

– ما أنا بقارىء .

فجذبه جبريل جذبة شديدة ، ثم قال له :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَم ﴾[1] .

سمية : هل هذه الآيات هى أول ما نزل من القرآن يا أبى ؟

– **الوالد** : نعم .

– **أحمد** : وماذا حدث بعد ذلك يا والدى ؟

– **الوالد** : لقد عاد الرسول إلى مكة ، مروعاً مما رأى ، ثم دخل على زوجته خديجة ، وقصَّ عليها ما حدث له .

– **الوالدة** : فماذا فعلت السيدة خديجة يا أبا أحمد ؟

– **الوالد** : لعلك تسألين عن دور خديجة لتعرفى الدور العظيم للمرأة فى الإسلام ؟

– **الوالدة** : (وهى تبتسم) : وهل ينكر فضل المرأة المسلمة أحد ؟!!

(١) العلق : ١ – ٥ .

- **الوالد** : إن السيدة خديجة رضى الله عنها ، هدَّأت من روع الرسول ، وطمأنته ، لحميد سجاياه ، وكريم خلقه ، وقالت له :

« إنك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتحمل الكَلَّ (الضعيف) ، وتكسب المعدوم ، والله لن يخزيك الله أبداً » ...

ثم ذهبت السيدة خديجة إلى ابن عمها « ورقة بن نوفل » ، وكان من موحِّدى الجاهلية ، وعنده أخبار عن النبوات ... ولما جاءا « ورقة ابن نوفل » ، وسمع من الرسول ما وقع له فى غار حراء ، قال له :

« إنك لنبىّ هذه الأمة ، وإن أعش أنصرك نصراً مؤزرا » ... فاطمأن النبى اطمئناناً كبيرا .

- **سمية** : وماذا بعد هذا الحادث يا والدى ؟

- **الوالد** : إن الرسول عليه الصلاة والسلام ، توالى عليه الوحى الكريم ، وبدأ يدعو الناس إلى الإسلام عندما نزل عليه قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر ، قُمْ فَأَنْذِر ، وَربَّك فَكَبِّرْ**﴾[1] ومكث ثلاث سنوات يدعو الناس سرا ، ثم جهر بالدعوة عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ** ﴾[2] ...

- **أحمد** : وكم مكث الرسول فى مكة يدعو الناس ؟

- **الوالد** : مكث الرسول ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الإسلام فى مكة ، منها ثلاث قضاها يدعو الناس سراً ، وعشر سنوات يدعو الناس جهراً .

---

(١) المدثر : ١ - ٣ . (٢) الشعراء : ٢١٤ .

- **سمية** : هل أسلمت مكة كلها يا أبى ؟

- **الوالد** : لا ، لم يسلم من قوم الرسول فى مكة خلال هذه المدة الطويلة إلا نفر قليل لا يبلغون المائة .

- **أحمد** : ولماذا يا أبى ؟

- **الوالد** : إنهم حقدوا على الرسول ، وقالوا لماذا اختاره الله ولم يختر واحداً من الأثرياء ؟ وقد تمادوا فى عدائهم للرسول ، فعذبوا كل من علموا بإسلامه حتى اضطر المسلمون إلى الهجرة للحبشة مرتين .

- **الوالدة** : وهل آذوا الرسول نفسه ؟

- **الوالد** : نعم ، وكانوا يضعون الأشواك أمام بيته ، وفى طريقه ، ويسخرون منه ، ويحرضون عليه سفهاءهم . وقد بلغوا الدرجة القصوى فى حربهم عندما كتبوا صحيفة يقاطعون فيها كل بنى هاشم آل الرسول ، فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم ، ولا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ... حتى أكل المسلمون أوراق الشجر .

ثم إنهم كانوا يحرضون القبائل ضد النبى ، ويشوهون صورته أمامهم ، ويقولون : إنه ساحر يفرق بين الرجل وزوجته ووالديه . وكان من نتائج هذه المقاطعة ، وما عاناه المسلمون فيها ، أن مات عم النبى أبو طالب ، وماتت زوجته خديجة ، بعد انتهاء المقاطعة التى استمرت ثلاث سنوات تقريبا .

- **سمية** : وماذا فعل الرسول فى هذه الظروف ؟

- **الوالد** : لقد بدأت بشائر النصر تلوح فى الأفق ... وهذا ما سيكون حديثنا فى الليلة القادمة !!

أخلاق يحرص عليه المسلم :

١ – إحياء سنَّة الاعتكاف ، وبخاصة فى العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك .

٢ – تقدير دور المرأة المسلمة ، وإظهار مكانتها السامية بين كل المسلمين . ومعرفة حقوقها وواجباتها .

٣ – صلة الأرحام وإكرام الضيوف ، وإعطاء المحروم .

٤ – السعى إلى هداية الناس ودعوتهم إلى الله .

٥ – الصبر على الشدائد فى سبيل العقيدة .

يثـــرب قبـــل الهجـــرة

الأوس والخزرج وموقف اليهود منها :

كان أحمد يجلس فى شرفة منزله إلى جوار والديه وأخته سمية ، فسأل أباه قائلا :

– **أحمد** : لماذا دفن الرسول – ﷺ – بالمدينة ولم يدفن بمكة يا أبى ؟

– **الوالد** : تعلم يا أحمد أن النبى – ﷺ – هاجر إلى المدينة ، التى كانت تسمى قبل الإسلام « يثرب » وقد نصره أهل يثرب وحموه . فكان النبى عليه الصلاة والسلام وفيا لهم ، فلم يتركهم بعد أن فتح مكة بلده ، بل رجع إليهم ولقى ربه عندهم ولا يزال جسده الطاهر فى المدينة دليلا عظيما على وفائه عليه الصلاة والسلام .

– **أحمد** : لكن : من أهل يثرب هؤلاء الذين أحبهم الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الحب ، وكان وفياً لهم إلى هذه الدرجة ؟

– **الوالد** : إنهم الأوس والخزرج يا أحمد ، وهما قبيلتان يمنيتان ، هاجرتا من اليمن قبل الإسلام بقرنين من الزمان ، واستوطنتا « يثرب » ولم يكن يشاركهما فيها أحد غير اليهود .

– **أحمد** : كيف كانوا يعيشون مع اليهود يا أبى ؟

- **الوالد** : إن اليهود كانوا ينشرون الفتنة بينهم ، وكان هؤلاء اليهود بيثرب ثلاث طوائف : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . فكان بعض اليهود يظهرون أنهم أصدقاء للأوس ، ويظهر بعضهم الآخر أنهم أصدقاء للخزرج ، وذلك كى ينجحوا فى إشعال الحروب بين الأوس والخزرج ، فينشغلوا عنهم ، وتزداد ثروات اليهود . وكانت آخر معركة أشعلها اليهود بينهما - معركة - « بعاث » التى وقعت قبل هجرة الرسول - ﷺ - إلى يثرب بخمس سنوات .

وظهر الضيق على وجه الأسرة جميعها : سمية ، وأحمد ، وأمهما ، لكن سمية أسرعت بالكلام ، وسألت أباها :

- **سمية** : هل هذا سلوك كريم يا أبى ؟

- **الوالد** : لا يا سمية ، فالإنسان لا يبنى سعادته على أساس شقاء الآخرين ، بل يجب أن يسعى لنشر السلام بين الناس جميعا .

- **أحمد** : لقد كانت المدينة تعيش فى قلق دائم يا أبى .

- **الوالد** : صحيح يا أحمد ، ولقد ظل حالها كذلك إلى أن دخلها الإسلام ، فكان دخوله تغييرا كاملا لأحوال أهلها .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم :

١ - الفتنة والإفساد بين الناس خلق الأشرار ، والمسلم لا يفعل ذلك .

٢ - الحذر من خبث اليهود وأساليبهم الماكرة .

٣ - كراهية اليهود الذين يضمرون الشر لغيرهم دائما، ومواجهة أساليبهم بذكاء .

٤ - عدم الاستجابة لداعى الفتنة ، وقطع الرحم ، والأذى .

٥ - التعاون ضد الشر فذلك كفيل بالقضاء عليه .

دخول الإسلام فى يثرب وأثره فى أهلها

كان أحمد شديد الشغف بالوقوف على أخبار يثرب وأهلها ، بعد أن أخذ الإسلام طريقه إلى نفوس الكثيرين منهم ، فقال لأبيه :

– **أحمد** : ذكرت لنا يا والدى أن الإسلام دخل يثرب فكيف قابل أهل يثرب الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

– **الوالد** : إن لذلك قصة طويلة يا أحمد ، فقد استمر الرسول – ﷺ – يدعو إلى الله فى مكة غير مهتم بأذى قريش ، وكان يعرض دعوته على القبائل التى تزور مكة فى موسم الحج ، وكان من بين هؤلاء نفر من أهل المدينة هم ستة رجال من الخزرج .

أسرع هؤلاء الستة إلى الإسلام بعد أن شرح الله صدورهم له ، وقد تذكروا أن يهود يثرب كانوا يعيبون على الأوس والخزرج عبادتهم للأوثان ، ويهددونهم بأن نبيا قد حان زمان ظهوره ، سيتبعه اليهود ويقتلونهم بمساعدته .

فلما كلّم الرسول عليه الصلاة والسلام – الخزرجيين الستة وقع كلامه موقعا حسنا من نفوسهم وقال بعضهم لبعض : إن هذا هو النبى الذى تهددكم به اليهود ، فالأفضل ألا نترك اليهود يسبقوننا إليه ، ثم أسلموا ، فكانت هذه أولَ بشائر الإسلام وطلائعه إلى يثرب ، ثم تلت ذلك بشائر أخرى كثيرة .

– **سمية** : أذكرها لنا يا والدى ، فإن حديثك قد شوقنا إلى معرفتها .

– **الوالد** : إن هؤلاء الرجال الذين أسلموا ، عندما عادوا إلى يثرب ، نشروا الإسلام بين قومهم ، حتى أصبح حديث أهلها .

وفى موسم الحج التالى أتى إلى مكة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب فالتقوا بالرسول – ﷺ – بمكة ، وبايعوه (بيعة العقبة الأولى) على الإيمان بالله وحده ، وترك المنكرات . فلما عزموا على الرحيل إلى يثرب ، أرسل معهم (مصعب بن عمير) – أحد صحابته – فكان يعلمهم القرآن الكريم ، وأمور الدين . وكان (مصعب) عاقلا سمحا يدعو الناس إلى الإسلام بالحسنى ، فدخل فى الإسلام خلق كثير . وفى العام التالى رجع (مصعب) إلى مكة ، وجاء بعده وفد كبير من مسلمى يثرب ، وعددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، فبايعوا الرسول – عليه الصلاة والسلام – (بيعة العقبة الثانية) على أن يحموه وينصروه .

ولما عاد هؤلاء إلى يثرب أظهروا بها الإسلام ، حتى أصبح أقوى الأديان فيها .

– **سمية** : أريد أن أسألك عن أثر الإسلام فى أهل يثرب يا أبى ، بعد أن عرفنا أحوالهم قبل الإسلام .

– **الوالد** : لقد كان أثر الإسلام عظيما فى أهل يثرب يا سمية ، فقد وحد بين الأوس والخزرج ، وأصبحوا إخوة متحابين فى الله ، وصاروا سادة المدينة ، كما أنه أنقذهم من عبادة الأوثان ، وهداهم إلى

الطريق القويم ، ورفع ذكرهم ، وتحولت بلدهم « يثرب » إلى مدينة عظيمة ، بعد أن كانت مدينة لا أثر لها .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم :

١ - الحرص على دعوة الناس إلى الإسلام ، وتحمل الأذى فى سبيل ذلك .

٢ - اتصاف الداعى إلى الله بالحكمة ، والتسلح بالعلم .

٣ - الاستجابة للحق ، وعدم معارضته .

٤ - الوفاء بالعهود ، وحفظ المواثيق .

٥ - الاعتقاد بأن الإيمان خير وسيلة لغرس المحبة والإخاء .

استعداد المدينة لاستقبال الرسـول - ﷺ -

جلست الأسرة كعادتها بعد صلاة العشاء تتجاذب أطراف الحديث ، فقال أحمد : لقد حدثتنا يا والدى عن انتشار الإسلام بين أهل يثرب ، وأنهم بايعوا الرسول ﷺ على أن ينصروه ، وأن يدفعوا الأذى عنه ، فمتى فكر الرسول - ﷺ - فى الهجرة إلى يثرب ؟

- **الوالد** : أحب الرسول - عليه الصلاة والسلام - يثرب وأهلها ، وقد تمنى أن يهاجر إليها ، ليتمكن من الدعوة إلى الله بين قوم مؤمنين ، يحبون الإسلام ، ويضحون فى سبيله ، ولكنه لم يكن يستطيع الهجرة إلا بأمر الله سبحانه وتعالى .

- **أحمد** : فماذا فعل إذن يا والدى ؟

- **الوالد** : لقد بقى ينتظر إذْن الله له بالهجرة ، ونصح المسلمين الموجودين فى مكة بأن يسبقوه إلى يثرب ، فهاجروا إليها متفرقين ، مستخفين عن عيون المشركين ، حيث أكرمهم المسلمون فى يثرب غاية الإكرام .

وقد خافت قريش أن يهاجر الرسول - ﷺ - إلى يثرب ، فتقوى شوكة الإسلام والمسلمين ، وتتكون فى يثرب قوة إسلامية عظيمة تهددهما فى مكة ، فتآمرت على قتله - عليه الصلاة والسلام -، لكن الله أمره بالهجرة ونجاه من مكر الكفار .

– **سمية** : عرفنا هذا من قبل يا والدى ، ولكن ماذا كان موقف أهل يثرب عندما علموا بهجرة الرسول – ﷺ – إليهم ؟

– **الوالد** : فرح أهل يثرب فرحاً شديداً ؛ فقد كانت أمنيتهم أن يأتى الرسول الكريم إليهم ، ويعيش بينهم ، ويحموه بأرواحهم وأموالهم ، ولذا فقد كانوا يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح ، ويذهبون خارج المدينة ، ينظرون إلى الطريق ، مترقبين وصول الرسول – عليه الصلاة والسلام – بشوق ولهفة ، فإذا اشتد عليهم حرّ الشمس ، عادوا إلى بيوتهم راجين أن يصل فى اليوم التالى .

وقد ظلوا على ذلك حتى جاء يوم خرجوا فيه – كعادتهم – ينتظرون الرسول – عليه الصلاة والسلام – وكادوا يعودون إلى بيوتهم يائسين من وصوله ، لكن يهودياً رأى الرسول – ﷺ – وصاحبه أبا بكر قادمين من بعيد فصاح يخبر أهل يثرب ، فأسرع الرجال بسيوفهم يتسابقون إلى استقباله – عليه الصلاة والسلام –.

واستقبله الجميع – كباراً وصغاراً – بمظاهر الفرح والسرور وكأنهم فى يوم عيد .. وهم ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم :

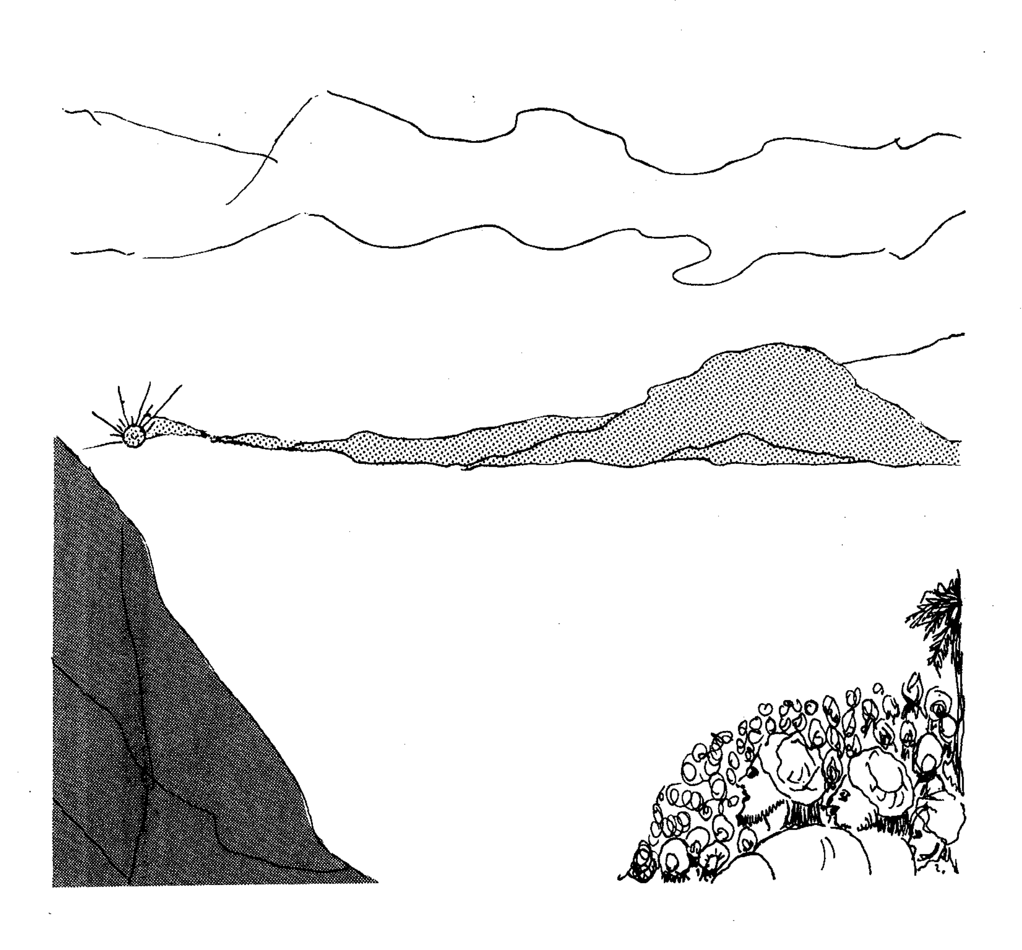
١ - المسلم لا يقيم على ذل وهوان .

٢ - محبة الأنصار كما أحبهم رسول الله - ﷺ -.

٣ - الذكاء والحيطة فى مواجهة أعداء الإسلام .

٤ - معاونة المسلمين فى الشدائد بالروح والمال .

٥ - الترحيب بالمسلم ، واستقباله استقبالاً كريما .



دخـول الرســول - ﷺ - المدينـــة

كانت سمية أسبق من أحمد إلى الحديث فى هذه الجلسة ، فقالت لوالدها : ليتك تحدثنا يا أبى عن دخول الرسول - ﷺ - يثرب .

- **الوالد** : إنها لم تعد تسمى يثرب يا سميّة ، بل أصبح اسمها « المدينة » ، كما أن الأوس والخزرج أصبحوا يعرفون « بالأنصار » .

لقد استقبل الأنصارُ الرسول - ﷺ - كما علمتم خارج المدينة ، وساروا حوله حتى دخلها فى موكب عظيم ، وكانوا جميعا يتسابقون إلى ناقته يشدون زمامها إليهم ، وكل واحد منهم يريد أن يأخذها إلى بيته ، ليكون له شرف ضيافته - عليه السلام -، لكن الرسول شكرهم ، وأخبرهم أن الناقة تسير بأمر الله وأنها ستبرك حيث يريد الله لرسوله أن ينزل ، ولم تزل الناقة سائرة حتى بركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى فى مكان يملكه بنو النجار ، الذين تربطهم برسول الله - ﷺ - صلة القربى ، فنزل الرسول عن ناقته ، وحلَّ ضيفا على أبى أيوب الأنصارى .

ومنذ ذلك الوقت ، والمدينة يتألق نجمها وقد أصبحت عاصمة الإسلام والمسلمين .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم :

١ - محبة الرسول - ﷺ -، والتأسى بسيرته .

٢ – تقدير الأنصار وحبهم ، جزاء ما قدموا للإسلام والمسلمين .

٣ – الإيمان بأن رسول الله – ﷺ – كان مؤيداً من ربه فى كل تصرفاته .

٤ – استعمال الكلمات الإسلامية ، ونبذ الكلمات والعادات الجاهلية .

بنـــاء البيـــت والمسجـــد

عاد الوالد إلى البيت بعد أن أدَّى فريضة العصر مع ابنه أحمد فى المسجد . فسألت سمية والدها قائلة :

أنا أعلم أنكما قادمان من المسجد يا أبى . فلعلك تحدثنا عن أول مسجد بنى فى المدينة بعد هجرة الرسول إليها .

– **الوالد** : كان أول عمل قام به الرسول – عليه الصلاة والسلام – فى المدينة هو بناء مسجده الشريف ، وبيوته التى كانت تجاور المسجد ، بحيث كان النبى يخرج منها إليه مباشرة .

ولقد كانت المبانى متواضعةً ، والسُّقوفُ مغطَّاةً بالجريد ، وكانت أعمدة المسجد من جذوع النخل ، ولا يزيد ارتفاعه على القامة إلا القليل .

– **سمية** : لقد كان مسجداً عادياً جداًّ يا أبى !!

– **الوالد** : لكنَّ أصحابه كانوا عميقى الإيمان يا سمية ، وهذا هو المهم ، فليس المسجد معرضا للفنون ، وإنما هو معهد للإصلاح ، ومدرسة للعلم ، وبيت لعبادة الله .

– **أحمد** : ومن الذى قام بالبناء يا أبى ؟

– **الوالد** : لقد اشترك فى بنائه المهاجرون والأنصارُ جميعاً يا بُنَّى ، وكان بصحبتهم النبى – عليه الصلاة والسلام –، يعمل معهم ، ويشجعهم ، ويدعو لهم بالمغفرة بقوله : « **اللَّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرةِ فارْحَمِ الأنْصَارَ والمُهَاجِرَة** » .

وهم يردِّدُون وراءَهُ هذا الدُّعاءَ ، وهكذا ... حتى أَتَمُّوا بَناءَ مسجد الرسول وبُيُوتِهِ – عليه السلام – فى جوٍّ ملىءٍ بالإِيمَانِ والحُبِّ .

وكانت هذه أولَ صُورَةٍ كريمة من صور التعاون الإسلامى فى المدينة .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة :

١ – الاهتمام بإنشاء بيوت الله وتعميرها .

٢ – عدم المغالاة فى المظاهر ، أو الإسراف فى الزينة .

٣ – حب العمل والإخلاص فيه .

٤ – التعاون فى إقامة المنشآتِ الإسلامية ، وبخاصة المساجد ودور العلم .

٥ – التواضع وعدم التعالى على الناس .

٦ – الارتباطُ بالمسجد ، والحرصُ على أداء الصلاة فيه .

المؤاخـــاة بين المهاجريـــن والأنصـــار

عندما اجتمعت الأسرة فى الليلة التالية كان الوالد يشعر بأن حديثه بقيَّةً تحتاج إلى توضيح ، فوجَّه حديثه إلى ولديه قائلا :

– **الوالد** : تذكَّرا أن كثيراً من مسلمى مكة قد هاجروا إلى المدينة ، فراراً بدينهم من اضطهاد قريش ، وقد تركوا كل أموالهم ، لم يأخذوا منها شيئاً ، فلم يكن المشركون يسمحون لهم بحمل أموالهم وأمتعتهم ، بل كانوا يستولون عليها ، ويأخذونها لأنفسهم .

وقد رأى عليه الصلاة والسلام حال المهاجرين ، وما هم عليه من فقر وحاجة ، فآخى بينهم وبين الأنصار ، بأن جعل لكل رجل من المهاجرين أخاً من الأنصار ، يعينه ويساعده ويعاونه وينصره ، كما يفعل مع أخيه من أمه وأبيه .

– **سمية** : وهل رضى الأنصار بهذه الأخوة يا أبى ؟

– **الوالد** : لقد رحبوا بها كل الترحيب ، فتلك هى أخوة الإسلام التى جعلتهم يقبلونها بروح طيبة ، ونفس صافية ، ولذلك تقاسموا مع إخوانهم المهاجرين أموالَهُمْ وسكنهم ، وسَمحُوا لهم بالتجارة والعمل فى مزارعهم ، وأعطوهم من كل ما يملكون ..

– **أحمد** : لقد كانت نفوس الأنصار عظيمة يا أبى .

– **الوالد** : صدقتَ يا أحمد ، فلقد ضرب الأنصار أعلى مثل لما يمكن أن يصنعه الإسلام فى النفوس ، واستحقوا أن يمدحهم الله فى القرآن الكريم بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (١) .

ولقد ظلت المؤاخاة قائمة إلى أن استطاع المهاجرون أن يَعْمَلوا ، ويتاجروا ، ويتحول حالهم إلى أحسن حال .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة :

١ – أخوة الإسلام أقوى الروابط بين المسلمين .

٢ – مصلحة الإسلام والمسلمين أهم من مصلحة الفرد .

٣ – البذل فى سبيل الله ، وإكرام الضيف ، ومساعدة الغريب والمحتاج .

٤ – حب بلاد الإسلام ، والدفاع عنها ، والعمل على رفعتها بكل الوسائل الممكنة .

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر . والذين تبوءوا الدار : الأنصار . حاجة : حقدا أو حسدا . خصاصة : حاجة وفقرا .

غــــزوات الرســـول - ﷺ -
إلى صلـــح الحديبيـــة

كانت الليلة باردة ، وكانت الأسرة مجتمعة حول المدفأة .

وكان أحمد وسمية قد انتهيا من مذاكرة دروسهما التى أعطيت لهما فى المدرسة ؛ لأنهما تعودا أن لا يؤخرا عمل اليوم إلى الغد .

وفى بداية جلستهم الليلية حول السيرة سألت سمية والدها قائلة :

- هل ترك المشركون الرسول يعيش فى المدينة دون مضايقات يا أبى ؟

- وقبل أن يجيب الوالد تدخل أحمد ، وسأل والده قائلا :

- أبى أرجو أن تحدثنا أوّلا عن موقف المسلمين من أموالهم ودورهم التى تركوها فى مكة ...

- قال الوالد : إنى أعتب عليك يا أحمد أن تقطع الحديث دون إذْن هكذا ، ولا تفعل ذلك مرة أخرى .

ثم تابع الوالد حديثه قائلاً :

- ومع هذا فسؤالك وسؤال أختك يرتبطان ببعضهما ،

والإجابة عليهما تقتضى الحديث عن الصراع بين المشركين والمسلمين بعد الهجرة .

– **سمية** : هل تعنى الحديث عن غزوات الرسول – ﷺ – يا أبى ؟

– **الوالد** : نعم يا سمية .

– **أحمد** : أرجو أن تقبل اعتذارى يا أبى ، وأرجو أن تشرح لنا أسباب هذه الغزوات قبل حديثك عنها .

– **الوالد** : إنى أقبل اعتذارك يا أحمد . أما أسباب الغزوات ، فأهمها – كما تعلمون – وقوف المشركين بالعنف والقسوة ضد الإسلام ، وضد رسول الله وصحابته ، واستيلاؤهم على أموالهم وديارهم ، وطردهم إياهم مرتين إلى الحبشة ، ومرة إلى المدينة ؛ لأنهم عذبوهم فى مكة أبشع تعذيب .

وقد ختموا كل ذلك بمؤامرتهم لقتل الرسول ، لولا أن الله حفظه منهم ... فهل كان الرسول والمسلمون يسكتون على ضياع أموالهم وديارهم ، وعلى العداء الواضح ومحاولات القتل التى قام بها المشركون ؟

– **سمية** : كلا يا أبى ، إن هذا لا يجوز ، ولو سكت المسلمون لما قامت لهم قائمة فى المدينة ، ولما احترمهم أبناء الجزيرة العربية ، واليهود .

– **الوالد** : وهذا ما فعله الرسول ، فقد بدأ يسترد حقوق المسلمين ، ويوقف المشركين عند حدودهم ، بالسرايا والغزوات التى كانت للدفاع ، وليس للهجوم .

– **أحمد** : حدثنا عن أهم غزوات الرسول يا أبى .

- **الوالد** : لقد قام الرسول وأصحابه بنحو سبعين سرية وغزوة ، وأشهر السرايا (وهى التى لم يخرج فيها الرسول) : سرية « حمزة » إلى العيص ، وسرية « عبد الله بن جحش » إلى نخلة ، وسرية قتل « كعب بن الأشرف » ، وسرية « أبى سلمة » إلى بنى أسد ، وسرية الرجيع ، وسرية بئر معونة .

أما أشهر غزوات الرسول - ﷺ - فهى غزوة بدر الكبرى ، وغزوة بنى قينقاع ، وغزوة أحد ، وغزوة بنى النضير ، ومعركة الخندق ، ومعركة بنى قريظة ، ثم غزوة الحديبية التى انتهت بصلح بين الرسول وقريش سُمِّىَ بصلح الحديبية .

وكان هذا بداية مرحلة جديدة فى دعوة الرسول - ﷺ -، دخل الناس خلالها فى دين الله أفواجاً .

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة :

١ - الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إذا لم يصدّ المشركون عن سبيل الله بالقوة .

٢ - استعمال القوة ، والجهاد بالسيف ، حين تقتضى الظروف ذلك ، وحتى يردع الباطل .

٣ - الشجاعة فى مواجهة الأعداء ، ورفع كلمة الله فى الأرض .

٤ - عدم التفريط فى حقوق الدين والأمة الإسلامية .

٥ - نصرة المظلوم والمطالبة بحقه بكل الوسائل المشروعة .

صلـــح الحديبيـــة

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِيْنَ ﴾ (١) .

رحلة السلام الحقيقى :

فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة ، أخبر الرسول – عليه الصلاة والسلام – أصحابه بما رأى فى منامه : من أنه دخل المسجد الحرام ، فأهاج حديث الرسول مشاعرهم ، لأنهم يعلمون أن رؤياه – عليه الصلاة والسلام – حق ، وأنه لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق(٢) الصبح .

ولم يلبث الرسول الكريم أن استنفر المسلمين للخروج ، لأداء العمرة(٣) فلبّى دعوته أكثر من ألف وأربعمائة ... وساروا جميعا إلى مكة ، يدفعهم الشوق لزيارة المسجد الحرام .

ولكى يظهروا لأهل مكة أنهم ينطلقون فى رحلة سلام خرجوا على النحو التالى :

---

(١) سورة الفتح آية : (٢٧) .
(٢) أى ظهر صدقها واضحاً كنور الصباح .
(٣) العمرة : زيارة البيت الحرام للطواف بالكعبة والسعى بين الصفا والمروة .

● حملوا أمتعة المسافر ، للعمرة ، لا المسافر للحرب .

● أشاعوا فى الجزيرة أنهم ذاهبون لرحلة العمرة وليس للحرب .

● ولم يحملوا معهم إلا السيوف الموضوعة فى أغمادها ، على عادة العرب فى أسفارهم .

● ساقوا معهم الهدى .

● أحرموا من « ذى الحليفة » (ميقات أهل المدينة) .

● دعوا معهم من القبائل المشركة المحيطة بالمدينة من يريد زيارة البيت الحرام .

ولكن هل يفلح السلام مع الجاحدين الذين فطروا على البغى ؟

المشركون دعاة حرب :

لم تكد تصل أخبار خروج المسلمين للعمرة ، حتى أجمع المشركون أمرهم على منعهم من دخول مكة بالقوة ، وقد ندبوا (خالد ابن الوليد) – ولم يكن قد أسلم – لقتال المسلمين .

وما إن وصل المسلمون « عسفان »[1] حتى علموا أنَّ (خالدا) فى الطريق إليهم ، فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتغيير الطريق ، كى لا يصطدم بالمشركين ، فيضطر للقتال .

وسلك المسلمون طريقا وعرا ، حتى وصلوا مكة من أسفلها عند

---

(١) قرية على مرحلتين من مكة . أى على بعد نحو من سبعين كيلو مترا .

الحديبية(٢) فبركت ناقة الرسول – عليه الصلاة والسلام –، فأمر أصحابه بالنزول فى هذا المكان .

رسل قريش إلى المسلمين :

كان المشركون مدفوعين بالشك والكراهية نحو الإسلام والمسلمين ، ومع أن الدلائل كانت واضحة على أن الرسول وصحبه إنما أَتَوْا لتعظيم البيت الحرام ، لا للقتال ، إلا أن قريشاً استمرت فى عنادها وتجبرها .

وقد أرسلت أكثر من رسول إلى المسلمين ؛ ليعرفوا حقيقة أهدافهم ونيَّاتهم ، وعاد الرسل جميعاً مقتنعين بأن المسلمين إنما جاءوا سلماً ، ولم يأتوا حرباً . بهذا قال « بُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ الخزاعىّ » و« حُلَيْسُ ابن عَلْقَمة » سيد الأحابيش ، فلم تستجب قريشٌ لهما .

وقد تطوَّع (عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ) سيد أهل الطائف بالقيام بمفاوضة المسلمين فى الأمر . وعندما قابل الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأخذ يحدّثه رأى أموراً عجيبة ، عاد يحكيها لأهل مكة .

● لقد أخذ (عروة) يناقش الرسول – عليه الصلاة والسلام –، وعلى غير قصد منه ، كانت يدُه تمتدُّ إلى لحية الرسول ، فما تكاد تتحرك حتى تجد ضربة تنهال عليها ، ويسمع صاحب الضربة يقول له : « اكفُفْ يدك قبل ألَّا تصل إليك » ولما سأل (عروة) عن هذا

---

(٢) الحديبية : بئر فى قرية بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، أى قرابة خمسة وثلاثين كيلو مترا .

الرجل ، علم أنه « المغيرةُ بنُ شُعْبَة » ... وكان (عروة) قد أنقذه من الموت فى الجاهلية ، ودفع عنه ديَةَ ثلاثة عشر رجلا قُتِلوا بيده .

● وقد رأى (عروة) من صور إعظام المسلمين للرسول ما جعله يعجب أشد العجب :

– رأى الرسول إذا توضأ تنافس المسلمون فى التمسح بآثار وضوئه .

– وإذا تكلم سكتوا ، كأن على رءوسهم الطير ، وهم لا يرفعون أصواتهم أمامه إذا تكلموا ، ولا يُحدُّون النظر إليه حياءً منه ، وإكباراً له !!

– ولما عاد (عروة) إلى قريش اندفع يحدثها بما رأى ، فقال :

« والله لقد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى عظمته ، فما رأيت مَلِكاً فى قومه مِثْلَ محمد فى أصحابه . لقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيءٍ أبداً . فانظروا رأيكم » .

مبعوث رسول الله إلى قريش :

أما الرسول – عليه الصلاة والسلام – فقد أرسل « عثمان بن عفَّان » إلى قريش ؛ لكى يزيد اطمئنانهم . لكنّ قريشاً حبستهُ ، وعرضت عليه أن يطوف وحده بالبيت إن شاء ، فرفض أن يطوف قبل النبى – عليه الصلاة والسلام –. وقد أُشيع بين المسلمين أن (عثمان) قُتِل فصمموا على حرب قريش ، وبايعوا الرسول « بيعة الرضوان » على الموت فى سبيل الله ، ثم ظهر أن (عثمان) لم يُقْتل ، فهدأت نفوس

المسلمين . كما دبَّ الذعر فى قلوب أهل مكة عندما علموا بهذه البيعة ، فأرسلوا « سهيل بن عمرو » لطلب الصلح من المسلمين .

شروط الصلح :

وقد اتفق الفريقان على الالتزام بالشروط التالية :

- وضع الحرب بين المسلمين وأهل مكة عشر سنوات .
- من جاء إلى المسلمين من قريش ردوه ، ومن جاء إلى المشركين من المسلمين لم يردوه .
- أن يرجع النبى – عليه الصلاة والسلام – والمسلمون هذا العام ، على أن يعودوا للعمرة العام المقبل .
- من أراد أن يدخل من القبائل فى حلف الرسول دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل منها فى حلف قريش دخل فيه .

وقد دخَلت قبيلة (خُزاعة) فى حلف الرسول – عليه الصلاة والسلام –، كما دخلت قبيلة (بنى بكر) فى حلف قريش .

وقد حزن المسلمون لشروط هذا الصلح ؛ إذ ظنوها خذلاناً لهم ، لكنها – فى الحقيقة ، وكما أثبتت الأيام – كانت فتحاً مبينا .

نتائج صلح الحديبية :

١ – السماح للمسلمين بدخول مكة آمنين ، وما كانوا يطمعون فى دخولها من قبل .

٢ – تفرغ المسلمون لدعوة الناس إلى دين الله بالكلمة الحسنة ؛

إذ وجه الرسول كتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وبعث رسله إلى القبائل . وقد أسلم فى السنتين التاليتين للصلح أكثر من الذين أسلموا فى الثمانية عشر عاماً الماضية .

٣ – لم تكن الشروط فى مصلحة قريش على الحقيقة ؛ فالمسلم لا يرتد عن دينه ، أما الذين دخلوا فى الإسلام من قريش ، ولم يقبل الرسول – ﷺ – استقبالهم[١] ، فقد أصبحوا شوكة فى ظهر قريش ، يقطعون الطريق على تجارتها ، ويَحرمونها الأمن فى سفرها ، حتى ألحَّ قريش على الرسول أن يقبل دخولهم إلى المدينة ، وإلغاء هذا الشرط من الصلح ، فقبل عليه الصلاة والسلام .

٤ – صلح الحديبية كان تمهيداً لفتح مكة :

وقد جاء الوحى مبشراً رسول الله وصحبه وهم عائدون إلى المدينة :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبينا (١) لِيَغْفِرِ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً(٢) وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً(٣) ﴾ [٢] .

المسلم يتعلم :

١ – أن حب الرسول – عليه الصلاة والسلام – فرض على كل مسلم صادق .

---

(١) مثل أبى بصير عتبة الثقفى ، وأبى جندل بن سهيل .
(٢) سورة الفتح آيات : ١ – ٣ .

٢ – أن الرسول الكريم ملهم ، لا ينطق عن الهوى .

٣ – أن الإسلام دينُ السلام الحق ، وأنه لا يسعى إلى الحرب ، إلا دفعا للظلم ، وتطهيراً للأرض من الفساد .

٤ – أن الهدنة إلى أمدٍ معلوم جائزة بين المسلمين وغيرهم . إذا حققت مصلحة المسلمين .

٥ – أن الثقة بالقيادة المسلمة الملتزمة بكتاب الله طريق إلى النصر .

٦ – أن العمرة سُنَّةٌ عن رسول الله ، وأن للمسجد الحرام ومكة المكرمة منزلة عظيمة فى تاريخ البشرية .

٧ – أن التريث فى فهم الأمور ، وتحليلها التحليل السليم ، طريق النجاح .

كتب الرســول للملــوك وبعوثـه للقبائــل

- ﷺ -

﴿ يٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[1] .

المرحلة الجديدة :

لم يكد المسلمون يستريحون فى المدينة بعد العودة من الحديبية ، حتى أخذ رسول الإنسانية الرحيم يرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء ، ويبعث الدعاة إلى أكثر القبائل فى الجزيرة أو النواحى القريبة منها .

لقد بدأ المسلمون – بعد صلح الحديبية – يطمئنون إلى أنفسهم ؛ فقد أصبحوا قوةً معترفاً بها فى الجزيرة العربية .

وبدأ الرسول – عليه الصلاة والسلام – يحس أن رسالة الإسلام العامة يجب أن تمتد إلى خارج الجزيرة العربية .

فكَّر الرسول الكريم فى كل هذا ، وفكَّر أيضا فى حق الضَّالّين والتائهين فى أن يَرَوْا طريق الهُدَى ، حتى يهتدوا به إن شاءُوا . وإلاَّ فلن يكون – عليه الصلاة والسلام – قد بلَّغ ما أنزل إليه من ربه إلى الناس كافة .

(١) المائدة آية رقم (٦٧) .

كتبه عليه الصلاة والسلام :

اختار الرسول - ﷺ - بعض صحابته الذين لهم علم بالبلاد واللغات وطرق السفر ، ووجه كلاً منهم إلى البلد الذى له به علم .

أرسل الرسول كتبا إلى (الحارث الغسَّانى) ملك البلقاء بالشام ، وإلى (النجاشى) ملك الفرس ، وإلى (هرقل) قيصر الروم وإلى غيرهم .

وقد دعاهم الرسول الكريم فى هذه الكتب إلى عبادة الله وحده ، ونبذ ما يعبدون من دونه ، والاعتراف بأنه - عليه الصلاة والسلام - رسول الله إلى الناس كافة ... وإلا فهم آثمون ، وعليهم إثم من يحكمونهم .. ويتحكمون فيهم .

- وقد ردّ بعض هؤلاء الملوك رداً حسنا ، وإن لم يُسلم ، كهرقل ، والمقوقس .

- وقد أسلم بعضهم كالنجاشى ملك الحبشة ، وكملوك البحرين ، وعمان ، وصنعاء .

- وردَّ بعضهم رداً قبيحاً ، مثل (الحارث الغسّانى) الذى قتل سفير رسول الله ، ومثل (كسرى) - ملك الفرس - الذى كان الرسول قد بعث إليه (عبد الله بن حُذافة السهمى) بكتاب جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« من (محمد) رسول الله إلى (كسرى) عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم ، فإنما عليك إثم المجوس » .

فلما قرأ (كسرى) الكتاب ، ركبه طغيان الملوك وتجبرهم وقال لمن حوله : (يكتُب إلىَّ هذا ... وهو عبدى) ثم مزق الكتاب ، فلما علم الرسول - ﷺ - دعا عليه بأن يمزق الله ملكه ، فلم يلبث أن قتله ابنه (شيرويه) واستراح المسلمون من شره !!

بعوثه إلى القبائل :

- وكما أرسل الرسول - ﷺ - كتبه إلى الملوك . بعث عددا من صحابته الكرام يدعون الناس إلى الإسلام ، ويشرحون لهم تعاليمه السمحة ومبادئه الكريمة . وتتابعت رسله - عليه الصلاة والسلام - إلى القبائل منذ صلح الحديبية ، وحتى وفاته .

- وفى العام السابع الهجرى بعث الرسول عشر سرايا إلى القبائل المجاورة للمدينة .

- وفى العامين التاسع والعاشر الهجريين توالت البعوث ، وتتابع وفود الناس على المدينة ، يعلنون دخولهم فى دين الله أفواجا .

وقد أسلمت قبيلة (همدان) اليمنية كلها على يد الإمام علىّ - رضى الله عنه -، ثم بعث الرسول بعده إلى اليمن الصحابيين الجليلين : (أبا موسى الأشعرى) و(معاذ بن جبل) ليكملا دعوة أهل اليمن إلى الإسلام .

وكان الرسول يختار هؤلاء الدعاة اختياراً جيداً ، ينظر فيه إلى قدرتهم على التصرف ، وعلى فهم كتاب الله ، وعلى استنباط الأحكام ، ويزودهم بتعاليمه ، وبقبس من روحه فى الدعوة إلى الله بالحسنى .

وقد سأل – عليه الصلاة والسلام – (معاذاً) – قبل إرساله إلى اليمن – [1] قائلا :

– ماذا تفعل – يا معاذ – إن عرض لك قضاء ؟... أجاب معاذ :

– أقضى بما فى كتاب الله . قال الرسول :

– فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ أجاب معاذ

– فبسنة رسول الله – ﷺ –. قال الرسول :

– فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ أجاب معاذ :

– أجتهد رأيى لا آلو (أى لا أقصر) .

فضرب رسول الله ﷺ صدر معاذ ، ورضى عنه ، وقال : « **الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله** » .

وهكذا كان الرسول ﷺ يربىّ الدعاة ويختبرهم ، وهم من هم – كما نعلم – فى الخُلُق والدين والإخلاص – رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) مسند أحمد ٥/٢٣٠ ، دار صادر بيروت .

المسلم يتعلم :

١ - أن المسلم لا يكمل إيمانه إلا بتبليغ الإسلام إلى من حوله ، وإلى من يستطيع من الناس .

٢ - الإسلام دين عام خالد ، والرسول - عليه الصلاة والسلام - نبى البشرية كلها . قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[1] .

٣ - خلاصة دعوة الإسلام : وحدانية الله ، والإيمان بالرسل الكرام وكتبهم ، ونبذ العبودية لغير الله .

٤ - الطغيان والتجبر عاقبتهما وخيمة .

٥ - للدعاة إلى الله صفات أهمها : قوة الإيمان ، والذكاء ، والخلق الكريم ، والقدرة على الإقناع ، والصدق فى القول والعمل .

---

(١) سبأ آية رقم ٢٨ .

غـــزوة مؤتـــة

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] .

أسباب مؤتة :

– تألم الرسول – عليه الصلاة والسلام – لموقف (الحارث الغسانى) ملك البلقاء بالشام ، الذى لم يكتف برد مبعوث رسول الله رداً سيئاً ، وإنما تواطأ على قتل هذا المبعوث ، بما يتنافى مع الخلق الكريم ومبادىء السياسة الدولية .

– وقد لقى أربعة عشر رسولاً للنبى مصرعهم عند (ذات الطلح) على حدود الشام[2] بإيعاز من الغساسنة حكام هذه المناطق .

– وقد ظهر للمسلمين أن الأعراب المتنصِّرين ، الموالين للروم فى هذه المناطق ، ليسوا على حظ من استقامة الخلق ؛ فهم ينافقون الروم بارتكابهم من الأعمال السيئة ما لم يرتكبه الروم أنفسهم وكان من الحتم – حفاظا على الدعوة الإسلامية ، وكرامة المسلمين – تلقين هؤلاء الأعراب درساً ، يجعلهم يحترمون المسلمين ويهابونهم .

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) ذات الطلح بلد على حدود الشام مع الحجاز .

– وفى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة جهّز الرسولُ – عليه الصلاة والسلام – جيشاً من المسلمين ، قوامه ثلاثة آلاف رجل ، لتأديب هذه النواحى . وولّى إمرة الجيش (زيد بن حارثة) وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أصيب فالأمير (جعفر بن أبى طالب) فإن أصيب فالأمير (عبد الله بن رواحة) » ...

وقد ودّع الرسول – عليه الصلاة والسلام – الجيش ووصّى جنوده بقوله : « **اخرُجُوا باسم الله ، مقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ، ولاتغلوا[1] ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الولدان ، ولا أصحاب الصوامع** » [2] .

الوصول إلى مؤتة :

لم يكد المسلمون يصلون إلى أرض الشام ، حتى علموا بأن الروم ، قد جمعوا لهم جمعا عظيما ، يصل إلى مائة ألف ، وبأن الأعراب الموالين للروم قد اجتمعوا فى مثل هذا العدد ، وقد دفعت هذه الأخبار المسلمين إلى التفكير فى الأمر .

أيستمرون فى السير إلى عدوهم ، وفيه مغامرة كبيرة ، قد ينكرها الرسول – ﷺ – عليهم ؟ أم ينتظرون مكانهم ، ويرسلون إلى الرسول – عليه الصلاة والسلام – فى المدينة يستشيرونه فى الأمر ، فإما أمدَّهم بالرجال ، وإما أمرهم أمره ؟!!

---

(١) لا تغلوا : لا تخفوا مغانم الحرب ، لا تمثلوا : لا تقطعوا أعضاء القتيل .
(٢) الصوامع : بيوت عبادة النصارى . والحديث رواه أحمد .

لكنَّ (عبد الله بن رواحة) قطع عليهم موقف التردد ، إذْ خطبهم فقال :

(يا قوم ، والله إن الذى تكرهون هو ما خرجتم إليه ... خرجتم تطلبون الشهادة ، ونحن ما نقاتل الناس بقوة ولا بكثرة . ما نقاتل إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فإن هى إلا إحدى الحسنيين : إما الظهور وإما الشهادة) .

فوضعت كلمات (ابن رواحة) حداً لترددهم ، فاندفعوا مسرعين للقاء العدو ، راضين بقضاء الله ، حتى وصلوا إلى بلدة من بلاد البلقاء بالشام – قرب الكرك – تسمى مؤتة[1] .

يوم الملحمة :

ثلاثة أبطال دفع بهم الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلى قيادة المعركة ، كلما سقط شهيد حمل الراية شهيد آخر .

وعند (مؤتة) التقى المسلمون بالروم والأعراب الموالين لهم .. التقى ثلاثة آلاف مسلم ، سلاحهم الإيمان ، وشعارهم لا إله إلا الله بمائتى ألف من الروم والأعراب ، لا يحركهم فى الحقيقة إيمان صحيح ، ولا تضمهم راية واحدة .

---

(١) تقع جنوب شرق عمان ، وتتبع الآن المملكة الأردنية الهاشمية .

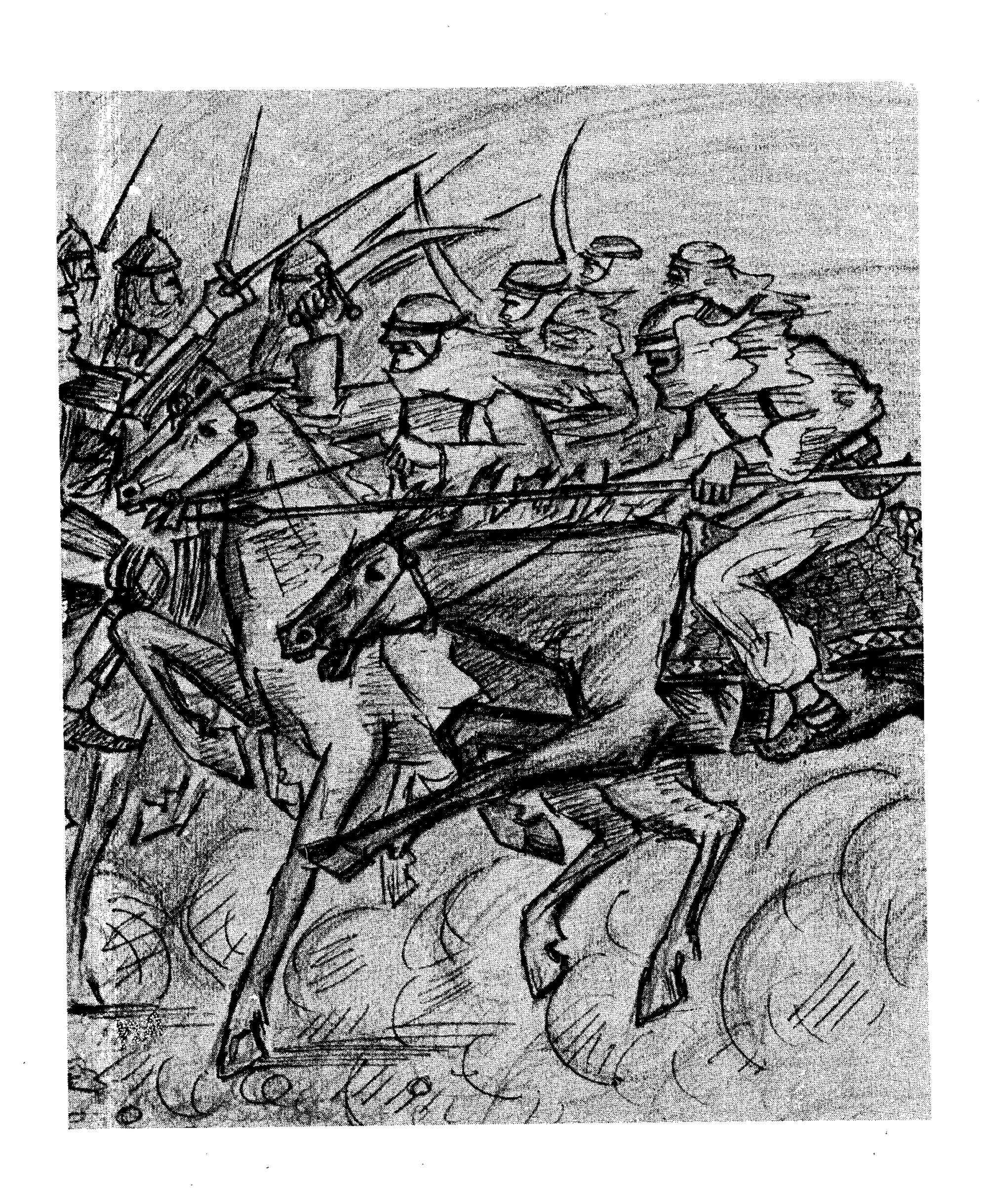
وثبتت القلة المؤمنة فى وجه جيش المشركين الجرَّار .

● فأما القائد الأول (زيد بن حارثة) فقد حمل الراية ، واندفع نحو القوم ؛ وما زال يقاتل ، والرماح تقع فيه ، ودمه يسيل كالماء على أسنتها ، حتى لقى الله !!

● وأما القائد الثانى (جعفر بن أبى طالب) فقد حمل الراية بعد زيد ، وظل يقاتل بها ، ممتطيا فرسه ، فلما ألح عليه الأعداء ، نزل عن فرسه ، واستمر يقاتل حتى قطعت يده فحمل الراية بيده اليسرى ، ومضى يقاتل . وحين قطعت يده اليسرى ولحقت بأختها ، احتضن الراية بعضديه ، ولم يكف عن القتال حتى لقى الله !!

● وتقدم القائد الثالث (عبد الله بن رواحة) فحمل الراية بعد جعفر ، واندفع يضرب فى الروم . ولما بلغ به التعب أتاه ابن عم له بقطعة لحم يشد بها صلبه ، فأخذ منها شيئاً يسيراً ، ثم سمع صوت السيوف شديداً فى ناحية ، فألقى ما بقى من اللحم ، وتقدم يقتل فى الأعداء حتى لقى الله !!

– وقد اختار الجيش – بعد الشهداء الثلاثة – (خالد بن الوليد) قائداً . فرأى خالد ، بما عرف عنه من مهارة حربية ، أن الاستمرار فى القتال – وإن كان كريما – إلا أنه سينتهى إلى إبادة جيش المسلمين ، فى وقت تحتاج فيه الدعوة إلى كل جندى من جنوده . ولهذا غيّر تنظيم الجيش ، فخدع الأعداء ، وظنوا أن المسلمين أتاهم مدد ، ودخل الرعب قلوبهم ... ثم تراجع خالد ، وأخذ يناوش الروم سبعة أيام ، وظن الروم أنه يحاول جرهم إلى الصحراء ، حيث لا يمكنهم التخلص ، فلزموا مكانهم ،



وانقطع القتال بين الطرفين ، وعاد خالد بالجيش إلى المدينة سالماً .

* * *

وقد استقبلهم الرسول استقبالاً كريماً ، وأثنى على خالد وسماهم (الكُرّار) أى المنتصرين . وأوصى المسلمين بأبناء الشهداء خيرا ، وأخبرهم بأن الأمراء الثلاثة قد رفعوا إلى الجنة على أسرَّة من ذهب ، وأن الله أثاب (جعفر بن أبى طالب) عن يديه جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ، فسمى بجعفر الطيار .

المسلم يتعلم :

١ – أن للحرب آدابا فى الإسلام ، وأنها وسيلة وليست غاية .

٢ – المسلمون لا ينتصرون بكثرة السلاح أو الرجال فحسب وإنما بعون الله .

٣ – المسلم يتخيرّ أفضل السبل للحرب ، ولا يفر أمام الأعداء فرار الجبناء .

٤ – أن على المسلمين مواساة أبناء الشهداء ، ورعاية أهلهم .

٥ – المسلمون الأوائل أمثلة حية عالية للتضحية فى سبيل الله . والدفاع عن رسالة الإسلام .

٦ – المسلمون ملزمون بالاجتهاد فى اختيار أمير يقودهم عند غياب الأمير .

فتـــح مكـــة
(وصـدق الله وعـــده)

الكفار لا عهد لهم :

كانت قبيلة (خزاعة) قد انضمت لحلف المسلمين فى صلح الحديبية ، كما علمنا من شروط الصلح . وكان بينها وبين قبيلة (بنى بكر) التى انضمت لحلف قريش ، عداوة وحروب .

فلما كانت فترة الهدنة التى ارتضاها الطرفان فى صلح الحديبية ، اعتدت قبيلة (بنى بكر) على (خزاعة) ، واستعانت بقريش فأعانتها ، وقتلوا من خزاعة أكثر من عشرين رجلا .

وقد أرسلت خزاعة وفداً إلى الرسول - ﷺ - بقيادة (عمرو بن سالم الخزاعى) يستغيث بالمسلمين .... ويذكرهم العهد الذى بين خزاعة وبينهم ، ويطالبهم الوفاء بالتزاماتهم نحو خزاعة .

وقد رحب الرسول الكريم بالوفد ، وأجاب رئيسهم بقوله : « **نصرت يا عمرو بن سالم** » ... وأضمر فى نفسه فتح مكة .

- وقد أحست قريش خطأها ، وأن المسلمين لن يسكتوا عن هذا الغدر ، فأسرع (أبو سفيان) إلى المدينة ، ليؤكد العهد مع المسلمين ، وليطلب زيادة مدة الصلح معهم .. لكن الرسول عرف خداع

أبى سفيان ... فلم يقبل عرضه ، وأمر المسلمين بالتعبئة العامة ، وأوصاهم بالإسراع فى الأمر ؛ حتى لا تتسرب الأخبار إلى قريش فى مكة .

الفتح المبين :

وفى رمضان من السنة الثامنة للهجرة(١) تحرك جيش المسلمين ، ولحق به جمع من قبائل أسلم ، وغفار ، ومزينة ، حتى أصبح عدده عشرة آلاف مقاتل ، وأكثر المقاتلين لا يعرفون أنهم متجهون لفتح مكة .

لقد طوى(٢) الرسول الأخبار عن الجيش ؛ حتى لا تتسرب أنباؤه إلى أهل مكة ، فيستعدوا للحرب ، وتراق الدماء فى البلد الحرام الآمن(٣) وقد نجحت خطة الرسول – عليه الصلاة والسلام –، فلم يشعر أهل مكة بالمسلمين إلا وهم يعسكرون قريبا من مكة ومرّ الظهران(٤) .

ولما سمعت قريش بالجيش الإسلامى ، الذى أصبح قريبا من مكة ، خرج (أبو سفيان بن حرب) فى الظلام ، يستقصى أخبارهم .

وعلى مقربة من معسكر المسلمين ، قابله (العباس بن عبد المطلب) ، ونصحه بالدخول فى الإسلام ، وبالسعى لدى أهل مكة كى لا يحاربوا ؛ لأن الرسول – ﷺ – قد جاءه بجيش لا قِبَل لهم به ولا طاقة .

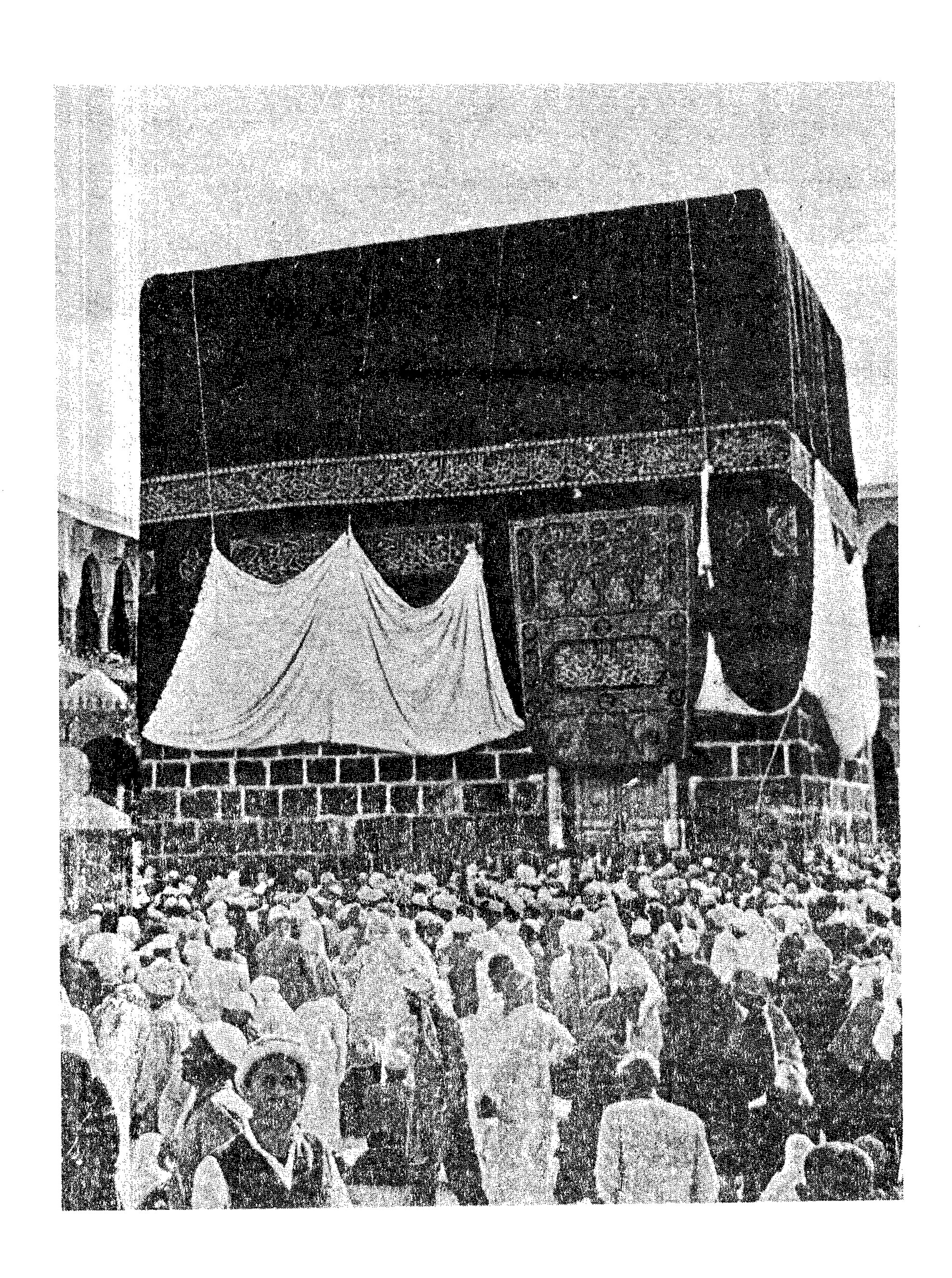
---

(١) يناير سنة ٦٣٢ م .

(٢) طوى الأخبار : أخفاها .

(٣) أرسل (حاطب بن أبى بلتعة) كتابا إلى أهل مكة يخبرهم فيه بالفتح ، لكن الله كشف أمره للرسول ، ففشلت محاولته ، وعفا الرسول عنه .

(٤) مر الظهران : واد كبير يبعد عن مكة ٣٥ كم تقريبا .



واستجاب (أبو سفيان) وأسلم بين يدى الرسول – عليه الصلاة والسلام –، وعفا الرسول عنه ، وأكرمه بقوله : « **من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن لزم داره فهو آمن** » ...

وفى ذلك إرضاء لأبى سفيان الذى يحب الفخر ، ثم أمر الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن تمر كتائب الجيش أمام أبى سفيان ، كتيبة كتيبة ؛ حتى يطمئن إلى أنه لا طاقة لأهل مكة بحربهم ، فيذهب إليهم ، وينصحهم بالسلم والكف عن القتال .

ونجحت خطة الرسول الكريم ، ودخل المسلمون مكة مكبّرين ، دون أن يحدث بينهم وبين أهلها قتال غير مناوشات خفيفة ، وصدق الله وعده ، ونصر جنده ، وانطمست معالم الشرك فى الجزيرة .

فتح المرحمة :

من منا لا يذكر ألوان العذاب والاضطهاد التى حلت برسول الله – ﷺ – وأصحابه على يد القساة الغلاظ من أهل مكة ؟

من منا ينسى المؤامرة الكبرى لقتل الرسول الكريم . واضطراره إلى الخروج من بلده الحبيب ، وتأليب القبائل عليه ، وتعاون قريش مع اليهود ضده ؟

إنها أحداث مروّعة لا تُنسى ، ولكن كيف تُقابَل من نبىّ الرحمة عندما يملك البلاد والرقاب ؟

لقد جمع أهل مكة وخاطبهم قائلا :

- « **ما تظنون أنى فاعل بكم ؟** »...

- قالوا : خيراً ... أخ كريم ، وابن أخ كريم !!

- قال : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء !!!!** »

فعّمت الفرحة أرجاء مكة .

● وأخذ الرسول الكريم **يطهر** مكة من الأصنام ، فقام بتحطيم ثلاثمائة وستين صنماً كانت حول الكعبة ، وهو يقرأ : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾[1] .

- وأظهر الرسول - عليه الصلاة والسلام - خلقه العظيم فى البرّ والوفاء ، فأبقى القيام على خدمة الكعبة فى يد (عثمان بن طلحة) وأولاده من بعده . وأبقى سقاية الحج لعمه (العباس بن عبد المطلب) .

- وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد استثنى من العفو العام بعض العتاة[2] الذين استفحلت جرائمهم ، وعظم تنكيلهم بالمسلمين ، ومنهم : (صفوان بن أمية) و(عكرمة بن أبى جهل) و(هند بنت عتبة) و(عبد الله بن أبى السرح) وغيرهم .

ولكن صاحب الخلق العظيم ، محمداً - ﷺ - قبل الشفاعة فى أكثرهم ، وعفا عنهم .

● وهكذا كان فتح مكة مرحمة ، وفتحا للقلوب المغلقة .

---

(١) الإسراء : ٨١ .

(٢) العتاة : جمع عاتٍ وهو الشديد الظلم الطاغى المتجبر المتكبّر .

ودخل الناس – باللين والتسامح – فى دين الله أفواجا . وتحقق وعد الله لرسوله ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ (١) ورأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلونَ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واستَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً(٣)** ﴾[١].

المسلم يتعلم :

١ – أن المسلمين أوفياء بعهودهم ، لكنهم لا يُخْدعون ، ولا يأمنون الخائنين .

٢ – المسلمون ينصرون الصديق والحليف ، ولا يتخلّون عنه فى الشدة .

٣ – الإسلام يحافظ على الدماء قدر الاستطاعة .

٤ – العفو عند المقدرة من أخلاق الإسلام ، والرسول – عليه الصلاة والسلام – أروع نموذج فى هذا .

٥ – الحرب خدعة ، والكتمان أقصر الطرق لقضاء الحوائج .

٦ – الشفاعة جائزة إلا فى حدود الله ، أو على حساب الآخرين .

---

(١) سورة النصر .

غـــزوة حنيـــن

أحقاد الطائف :

كان لفتح مكة تأثير سيىء فى قبائل : هوازن ، وثقيف ، وبنى سعد ، التى تسكن مدينة الطائف وضواحيها وتصر على وثنيتها .

لقد توقعت هذه القبائل – بعد فتح مكة – أن يزحف الإسلام عليها . وقد دفعها الخوف ، وحمية الجاهلية ، والحقد على المسلمين الذين أسقطوا مكة أكبر معاقل الوثنية فى الجزيرة ، إلى التخطيط لغزو المسلمين ، فبادرت للإعداد للحرب ، وأعطت زمام قيادتها شابا فى الثلاثين من عمره ، هو (مالك بن عوف) ، ولم تترك المسلمين ليستريحوا من أعباء فتح مكة ، فتقدمت للاشتباك معهم بعد هذا الفتح بخمسة عشر يوماً – (فى شوال من العام الثامن للهجرة) .

لن نغلب اليوم من قلة :

وعلم المسلمون بأمر الطائف ، فتقدم بهم الرسول – عليه الصلاة والسلام – فى اثنى عشر ألفا من المقاتلين ، منهم ألفان أسلموا بعد الفتح ، وسار الجيش الإسلامى فى طريق الطائف حتى وصلوا إلى حنين[١] .

---

(١) واد بينه وبين مكة حوالى مائة وعشرين كيلو مترا .

كان عدد هذا الجيش أكبر من أى جيش زحف به الرسول من قبل ، وكان قد خرج من (فتح مكة) ظافراً قويا . وفى فتح مكة وصف (أبو سفيان) هذا الجيش بأنه جيش لا طاقة لأحد به . فكيف وقد زاد عدده الآن ، وأصبح يسيطر على مكة وقريش ؟

لقد داخل الزهو بعض المسلمين ، وظنوا أنهم لكثرتهم لن يُهزموا ، حتى لقد قال بعضهم : (لن نُغلب اليوم من قلة) !!

ولم تكد طلائع جيش المسلمين تتقدم إلى مدخل وادى حنين حتى برز لهم كمين من رجال العدو كان مستتراً فى شعاب الوادى وقابلهم بنبال كأنها الجراد المنتشر . فأذهلتهم المفاجأة ، وتقهقروا إلى الخلف تقهقر المنهزمين !

أنا النبى لا كذب :

وهنا تبرز بسالة الرسول – ﷺ –، فقد ثبت على بغلته فى ميدان القتال ، غير هيّاب ولا وجل ، ومعه قليل من المهاجرين والأنصار ، على رأسهم (أبو بكر ، وعمر ، وعلىّ ، وأسامة بن زيد ، والعباس بن عبد المطلب) وأخذ النبى – عليه الصلاة والسلام – فى هذا الامتحان الصعب – ينادى قائلا : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ...

وأمر عليه الصلاة والسلام عمه (العباس) أن يصيح فى المسلمين بصوته الجهورى ، يحرضهم على الثبات ، والكر على العدو ، فأخذ العباس ينادى بأعلى صوته :

يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان ...

فلما سمعه الأنصار هرعوا إليه ، وهم يقولون :

لبّيك لبيك ... واجتمع منهم حول الرسول جمع عظيم ، كروا على عدوهم يداً واحدة ، وتبعهم بقية المسلمين ، حتى انكسر المشركون ، وولّوا أمام المسلمين ، تاركين وراءهم نساءهم وأطفالهم الذين حملوهم معهم إلى المعركة ، حتى يدفعوهم إلى الثبات والقتال ، ومخلفين كذلك أموالاً كثيرة !!

وفاء الرسول للأنصار :

لقد وزع الرسول الكريم الغنائم على المسلمين ، وخص أهل مكة بنصيب وافر تأليفا لقلوبهم ، حتى يزداد إخلاصهم للإسلام ، وأعطى فقراء الأنصار على قدر ما يحتاجون .

ولما عاد الرسول – ﷺ – إلى مكة حزن الأنصار ، وظنوا أن منزلتهم عند الرسول لم تعد كما كانت ؛ لأنه لم يعطهم كالمؤلفة قلوبهم ، ولأنهم ظنوا أن الرسول سيتحوّل عنهم إلى بلده مكة .

لكن الرسول – عليه الصلاة والسلام – كشف لهم عما يكنّه لهم من حب ، وعرفهم مكانتهم من قلبه قائلا : « **والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعبا**[1] ، **وسلكت الأنصار شِعباً لسلكت شِعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار** » .

(١) الشِّعب : الطريق بين جبلين .

المسلم يتعلم :

١ - اللجوء إلى الله واجب مهما يكن العدد والعُدَّة .

٢ - الثبات فى الحرب من خلق الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه إلى يوم الدين .

٣ - الفرار من المعركة من أكبر الكبائر المستوجبة للعنة الله وغضبه .

٤ - تحريض المسلمين على القتال واجب إسلامى .

٥ - للحاكم الحق فى تفضيل بعض الناس لهدف دينى ، يتعلق بمصلحة الدين والأمة .

٦ - الرسول الكريم هو المثل الأعلى فى الوفاء والبر .

غــزوة تبــوك
آخــر الغــزوات النبويــة

جيش العسرة :

وصل صوت الإسلام إلى الجزيرة العربية كلها ، وأرسل الرسول – عليه الصلاة والسلام – كُتبه إلى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة ... لقد أدّى الرسول بذلك الأمانة ، وبلّغ – إلى العالمين – الرسالة ، وحق له – عليه الصلاة والسلام – أن يهنأ بالاً بما هداه الله إليه .

لكن الروم الذين قاتلوا المسلمين فى مؤتة ، أشاعوا أنهم يرغبون فى تدمير القوة الإسلامية الناشئة ، وغزو بلاد المسلمين .

وعندما سمع الرسول – عليه الصلاة والسلام – بذلك ، لم ينتظر حتى يهاجم الروم المدينة ، بل أمر المسلمين بالاستعداد للزحف على الروم .. وبإعداد ما يلزم للطريق من عدّة ومتاع .

وكان النبى – عليه الصلاة والسلام – يخفى مقصده فى كل غزوة يغزوها ، إلا فى هذه الغزوة ؛ لأن الوقت كان وقت شدة وعسر ؛ فالجو

شديد الحرارة ، والناس فى انتظار الحصاد ، والطريق إلى بلاد الروم شاق وطويل .

ودعا الرسول القادرين من المسلمين – إلى الانفاق ، وإلى إمداد فقراء المجاهدين بما يحتاجون إليه للطريق والقتال . فتسابقوا – رضى الله عنهم – إلى البذل فى سبيل الله ، وضربوا بذلك أروع الأمثال فى الإخلاص ، والتضحية ، والإيثار .

مواقف إسلامية نادرة :

● ومن أمثلة التضحية النادرة فى تاريخ البشرية موقف (أبى بكر الصديق) – رضى الله عنه – فقد تبرَّع بكل ماله ، فلما سأله رسول الله – ﷺ – عن الذى أبقاه لأهله . أجاب : أبقيت لهم الله ورسوله !!

● وموقف (عمر بن الخطاب) – رضى الله عنه – فقد تبرَّع بنصف ماله !!

● وموقف (عثمان بن عفان) – رضى الله عنه – الذى جهز ثلث الجيش من ماله ، حتى قيل : إن أحداً لم ينفق مثل إنفاقه ؛ إذ كان موسراً قادراً !!

● وتبرع (عبد الرحمن بن عوف) بمائة أوقية من الفضة ، وتبرع (طلحة) و(العباس) بمال كثير !!

● وتبرع (عاصم بن قيس) بسبعين وَسْقاً[1] من تمر .

● وتبرعت النساء بالحليّ من الذهب والفضة . وتبرع الرجال بالمال والمتاع والسيوف وغير ذلك مما يملكون .

● وجاء كثير من الفقراء إلى الرسول – ﷺ – يشكون أنهم لا يجدون ما يحملهم فى هذه الغزوة البعيدة ، وأنهم يخشون أن تفوتهم فرصة الجهاد فى سبيل الله . فحمل الرسول – عليه الصلاة والسلام – بعضهم ، وساعد المسلمون بعضاً آخر . أما الذين لم يجدوا من يعينهم ، فعادوا متأثرين .. وأعينهم باكية تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .

وقد أثنى القرآن عليهم ، وأشاد بإخلاصهم ، وصدق إيمانهم ، وإسقاط التبعة عنهم ، فى قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِه مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُون** ﴾[2] .

---

(١) الوسق : مقدار حمل البعير .

(٢) انظر سورة التوبة آيتى : ٩١ ، ٩٢ .

مواقف المنافقين والمتخلفين :

وكما أظهر عامة المسلمين مواقف إسلامية نادرة ، أظهر المنافقون – الذين لا تخلو منهم أمة ولا دين – مواقف متخاذلة . بقيادة زعيمهم (عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول) ؛ فقد اعتذر بعضهم عن الخروج لشدة الحر ، ففَضح القرآن أمرهم بقوله : ﴿ **وَقَالُواْ لا تَنفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَراً لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونْ**(٨١) ﴾[١] .

وتخلف بعضهم بحجة الخوف من فتنة نساء الروم ، وتخلف آخرون ظنا أن الروم سيقضون على المسلمين ، وساقوا مبرّرات مختلفة كشفها الله ، وأوعد أهلها خزى الدنيا ، وسوء المصير فى الآخرة[٢] .

وقد تخلف ثلاثة[٣] من المسلمين كسلاً وتقصيراً دون نفاق ولا شك ، ثم ندموا على ما فعلوا ، وصدقوا الله التوبة فتاب عليهم .... إنه هو التواب الرحيم .

تأمين الحدود مع الروم :

وفى شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة ، تحرك جيش المسلمين فى ثلاثين ألفا من المؤمنين الصادقين ، يحمل رايتهم (أبو بكر

---

(١) انظر التوبة : ٨١ .
(٢) انظر ذلك فى التوبة : (٤٠ – ٤٩) .
(٣) هم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

الصديق) ، ويقودهم الرسول - ﷺ - متجهين إلى الشام ، مخترقين الصحراء ، حتى وصلوا إلى أرض تبوك(١) فلم يجدوا جيشاً للروم ، ولا أى آثار لهم ، فعسكروا مكانهم قرابة عشرين يوما ، واتّصلوا بأمراء الحدود يخيّرونهم بين الإسلام والجزية التى تجعلهم فى صلح مع المسلمين .

وقد وفد على الرسول - عليه الصلاة والسلام - (يوحَنَّا بن رؤبة) أمير أَيْلَةَ(٢) ، وصالح الرسول على الطاعة والجزية ، كما وفد صاحبا (أَذْرُح)(٣) و(جرْباءَ)(٤) وصالحا الرسول على الجزية والطاعة كذلك . وأخضع (خالد بن الوليد) دَوْمَةَ الجَنْدَل(٥) وكان الرسول - ﷺ - قد بعثه إليها فى خمسمائة من المسلمين ، وأسلم أميرها ، وأصبح حليفا للمسلمين .

ونجحت غزوة (تبوك) فى تأمين حدود المسلمين ، وغرس هيبتهم فى نفوس أعدائهم ، وفى القضاء على المنافقين . وكانت سببا فى تدفّق الوفود على المدينة ، تعلن إسلامها ، أو دخولها فى حلف مع المسلمين . وعاش الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعدها فى المدينة

(١) تبوك : موضع بين الشام ووادى القرى من جهة الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة ، أى أكثر من خمسمائة كيلو متر .
(٢) تقع شمال خليج العقبة على البحر الأحمر ، وتسمى « إيلات » .
(٣) من أرض الشام ناحية الأردن « عمان » .
(٤) جرباء : حصن بين بصرى والبحر الأحمر شمالى (أذرح) من بلاد الشام قرب عمان .
(٥) تقع على بعد حوالى : ٢٣ كيلو مترا من دمشق على الحدود مع الروم .

راضيا بما حقق الإسلام ، مطمئنا إلى أنه أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة – عليه الصلاة والسلام .

المسلم يتعلم :

١ – أن الخطة الحكيمة للدفاع هى الهجوم ، كما يتضح ذلك من موقف المسلمين فى مؤتة وتبوك .

٢ – الجهاد بالمال من صور الجهاد ، والمسلم الصادق يبذل فى سبيل دينه ما يملك .

٣ – البخل فى مواطن البذل يودى بحياة الأمة .

٤ – الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا نماذج رفيعة للإخلاص والإيثار والفداء .

٥ – تنقية الصفوف من المنافقين من أهم أسباب النصر .

٦ – المسلم الصادق يرجع إلى الحق ، ويعترف بذنبه ، ويتوب إلى الله .

٧ – الله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

٨ – الإسلام دين السلام القوىّ ، والمسلمون الصادقون لا يفرّطون فى شبر من أرضهم .

اكتمال الرسالة ووفاة الرسول - ﷺ -

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾[1] .

الرحلة الخالدة :

ثلاث وعشرون سنة قضاها النبى - ﷺ - فى جهاد عظيم ... حتى وصل - عليه الصلاة والسلام - إلى (حجَّة الودَاع) .

لقد بدأ النبى فرداً .. وها هى ذى الجزيرة العربية كلها تهتف : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » - وتقيم فى حياتها أركان الإسلام ، وآداب الإيمان .

لقد وصلت مبادىء الإسلام إلى بلدان الأرض . وبلَّغها الرسول الكريم إلى كل من استطاع من البشر .

ولقد تتابع نزول القرآن على النبى - عليه الصلاة والسلام - فى مكة والمدينة . حتى أصبح كاملا بين يدى الناس ، شاملا لكل أمور العقيدة والعبادة والحياة ، ونزل على الرسول - فى حجة الوداع - البيان الإلهى بكمال الإسلام . وإتمام النعمة . وأنه تعالى رضى الإسلام دينا للبشرية[2] لا دين سواه .

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) انظر الآية السابقة فى صدر الدرس .

فى حجة الوداع :

وفى السنة العاشرة للهجرة ، حج النبى الكريم – عليه الصلاة والسلام – (حجة الوداع) ، وخطب الناس فى يوم عرفه ، وأشهدهم على أنه أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، لكيلا يكون للناس عليه حجة يوم لقاء الله .

ومن قوله – عليه الصلاة والسلام – لهم فى ذلك اليوم المشهود :

« أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلىّ لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبداً ...

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ...

إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ... وقد بلَغتُ ...

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها : إن كل رباً موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون » .

– وقد ذكر الرسول للمسلمين وصايا أخرى كثيرة فى هذه الخطبة الكريمة ، ثم ختمها بقوله :

« **اللهم هل بلغت ؟** » .

– فأجابه تسعون ألف مسلم يحجون معه : نعم .

– فقال عليه الصلاة والسلام : « **اللهم فاشهد !!** »

إلى الرفيق الأعلى :

● ثم عاد – عليه الصلاة والسلام – بعد حجة الوداع إلى المدينة ؛ ليلقى الله فيها ؛ وليكون وفيًّا لأهلها الأنصار حيًّا وميتًّا .

● ولم يمض غير شهر على عودته – عليه الصلاة والسلام – حتى مرض مرضه الأخير ، فأمر (أبا بكر) أن يؤم الناس فى الصلاة مكانه ، وأقام فى بيت زوجته أم المؤمنين ، عائشة رضى الله عنها .

● وبالرغم من مرضه – عليه الصلاة والسلام – أمر المسلمين بإنفاذ جيش (أسامة بن زيد) إلى الشام ؛ لتأمين الحدود مع الروم ، كما أوصى المهاجرين بالأنصار خيراً ، وأمر بسدّ الأبواب النافذة إلى المسجد إلا باب بيت أبى بكر ؛ تكريماً له .

● وبينما المسلمون يؤدون صلاة الفجر (من يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة) ؛ إذ أطلّ عليهم رسول الله – ﷺ – من حجرته الملاصقة للمسجد ، ينظر إليهم نظرة وداع وهو يبتسم .. فلما عرف (أبو بكر) تأخر ، يريد أن يفسح له ، كى يؤُمَّ – عليه الصلاة والسلام – الناس . وكاد المسلمون – حين لمحوا وجهه الكريم – يفسدون صلاتهم ؛ حبًّا له وشوقاً إليه ... لكنه أشار إليهم أن يُتِمّوا صلاتهم !!

وفى ضحا اليوم نفسه ، صعدت روحه الكريمة إلى بارئها بعد تمام ثلاث وستين سنة ، تاركا للمسلمين ما إن تمسّكوا به فلن يضلوا بعده أبداً : كتاب الله ، وسنته الشريفة . فصلوات الله وسلامه عليه ، وتحياته

الذكية ، لقاء ما بذل فى سبيل الله ، وما قدّم للإنسانية من خير الدنيا والآخرة .

المسلم يتعلم :

١ - أن الإسلام دين كامل صالح لكل زمان ومكان .

٢ - أن الرسول - ﷺ - أدى الأمانة ، وبلّغ الرسالة .

٣ - أن حب الرسول الكريم من حب الله ، والاعتراف بفضله من خلق المسلم .

٤ - أن الموت حق ، يستوى فيه الأنبياء وسائر الناس ، فلا خلود إلا لله .

أن لأبى بكر منزلة خاصة فى الإسلام ، وعند رسول الله والمسلمين .

الفهـــرس

رقم الإيداع ٨٦/٣٢٦٤
الترقيم الدولى ٣ - ٦٥ - ١٤٣٠ - ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN